# نزول الوحي

كانَ بَدْءُ نزول الوحي علَى النبيِّ ﷺ في شهر رمضانَ الموافق سنةَ ٦١٠م. ولنستمعْ إلَى السيدة عائشةَ - رضيَ اللهُ عنهَا - تروي[١] لنا قصةَ نزولِ الوَحْي:

أول ما بُدئَ به رسولُ الله ﷺ من الوَحْي الرُّؤيَا الصالحةُ من النوم، فكانَ لا يَرى رُؤيا إلا جاءَتْ مثلَ فَلَق الصُّبح، ثمَّ حُبِّب إليه الخَلاءُ، وكان يخلُو بغَار حراء، فيتحنَّثُ[٢] فيه الليالِيَ ذوات العدد قبلَ أن ينزعَ إلى أهله، ويتزوَّدُ لذلكَ، ثم يرجعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ بمثلهَا، حتَّى جاءَه الحقُّ وهوَ في غارِ حِراء، فجاءَه المَلَكُ[٣] فقالَ:

- اقْرَأ..

فقالَ:

- ما أنا بقارئ.

---

(١) في صحيح البخاري، وانظر الرحيق المختوم ص ٧٥.

(٢) التحنُّث: التعبُّد.

(٣) وهو سيدنا جبريل عليه السلام.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «فأخذَني - يعني المَلَك - فغطَّني حتَّى بلغَ منِّي الجهد، ثم أرسلني، فقالَ: اقرأ.

فقلت:

- ما أنا بقارئٍ.

فأخذني فغطَّني الثالثةَ، ثمَّ أرسلني فقالَ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[1].

فَرَجَعَ بهَا رسولُ الله ﷺ يرجفُ فؤادُه، فدخلَ علَى خديجةَ بنتِ خويلد، فقالَ:

- زمِّلوني.. زمِّلوني..

فزمَّلوه حتَّى ذهبَ عنه الرَّوْع..

فقالَ لخديجةَ:

- ما لي.. لقدْ خشيتُ علَى نفسي..

(١) سورة العلق: الآية ١ - ٣. وكان نزول الآيات إلى قوله تعالى: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

ثم أخبرهَا الخبرَ. فقالتْ خديجةُ:

- كلا، والله ما يُخزيكَ اللهُ أبدًا؛ إنَّكَ لَتَصلُ الرَّحمَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُكسِبُ المعدومَ وتقري الضيفَ، وتُعينُ علَى نوائبِ الحقِّ.

وانطلقتْ به خديجةُ حتَّى أتتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسد ابن عبدالعُزَّى ابن عَمِّ خديجةَ، وكانَ شيخًا كبيرًا قد عَمي، فقالتْ لهُ خديجةُ:

- يا ابنَ العمِّ، اسمَعْ من ابنِ أخيكَ.

فقالَ له ورقةُ:

- يا ابنَ أخِي ماذا ترَى؟

فأخبَرهُ رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى، فقالَ لهُ ورقةُ:

- هذَا الناموسُ الذي نزَّلَهُ اللهُ علَى موسَى، ليتني أكونُ حيًّا إذ يخرجُكَ قومُك.

فقالَ رسولُ الله ﷺ:

- أومخرجِيَّ هُمْ؟

قالَ:

- نعمْ، لم يَأت رجلٌ قطُّ بمثلِ ما جئتَ بهِ إلا عُودِي، وإنْ يدركْنِي يومُكَ أنصرْكَ نصراً مؤزَّراً.

* * *

ثمَّ لمْ يلبثْ ورقةُ أن تُوفِّيَ قبلَ ظُهور الرِّسالة. وفَتَرَ الوحيُ عنْ رسولِ الله ﷺ زمنًا، ثمَّ عادَ مرَّةً ثانيةً وقالَ لهُ جبريلُ:

- يا محمدُ، إنَّكَ رسولُ اللهِ حقّا.

فعرفَ النبيُّ ﷺ أنه أصبحَ نبيّا من أنبياء الله وأنَّ الذي جاءَهُ هوَ جبريلُ - عليه السلامُ - مَلَكٌ منْ عند الله يبلِّغُه الرسالةَ. وتتابعَ الوحيُ ينزل علَى رسول الله ﷺ يربّيه ويصقلُه، ويرغبُه ويرهبُه، فقدْ أنزلَ عليه سورةَ القلم التي تكشفُ لهُ عنْ أساليب الكفر الماكرة الخادعة، وتوصيه أن يصبرَ لحكم ربِّه، ودعوته، ثمَّ أنزلَ عليه سورةَ المزَّمِّل ترسُمُ لهُ خُطُوات المنهج التربويِّ، الذي يأخذُ منه زادَ هذا الصبرِ علَى تبليغ ذلكَ القول الثقيل، وتحثُّه على قيامِ الليل، مدرسة الدعاة الأولَى، ومصنعهم الدقيق، ثمَّ أنزلَ عليه سورةَ المدَّثِّرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

﴿ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾[1].

فعلمَ رسولُ الله ﷺ أنه أمرَ بالدعوة إلى دين الله، دين الإسلام فشمَّر عنْ ساعد الجدِّ، وبدأ يدعُوْ مَنْ حولَه ثلاثَ سنوات اتَّسمتْ فيهَا الدعوةُ بالسرِّية خوفًا من إيذاءِ المشركينَ والكفَّار، ولذلك سُمِّيتْ بمرحلةِ «الدَّعوةِ السريةِ».

(١) سورة المدثر: الآيات (١-٥)



obeikandl.com